دهباش

في مهب الريح فعلاً

اذا كان العبء الأكبر لتكوين الاتجاهات الفكرية المرغوبة عند الطفل يقع على المدرسة ، الا ان المؤسسات الاجتماعية والاعلامية تسهم بدور لايستهان به في هذا المجال .

ولتكوين الاتجاهات الفكرية المرغوبة عند الطفل او تعديلها ينبغي التنسيق بين جهود المدرسة وسائر المؤسسات الاجتماعية والاعلامية ، يقع على وسائل الاعلام مسؤولية تحقيق الاتجاهات الفكرية اللازمة للطفل ، وذلك بحسن اختيار المادة الاعلامية ، بحيث تؤدي الى إكساب جمهور المتلقين اتجاهات جديدة بعيدة ، او تعدل من اتجاهات قديمة خاطئة .

وقد اكد علماء النفس وعلماء التربية انه كلما قلت خبرة الشخص بالموضوع الذي تعرضه وسائل الاعلام زاد احتمال اكتسابه للسلوك المعروض في الجهاز الاعلامي ، سواء كان عرض الموضوع ضمنيا او تصريحا ، ولهذا السبب اتجه اهتمام خبراء وسائل الاعلام في اوربا وامريكا الى دراسة تأثير المادة الاعلامية على الاطفال باعتبارهم قليلي الخبرة في الحياة ، لذا اجروا دراسات علمية جادة وعلى نطاق واسع في هذا المجال ، اظهرت بعضها ان الاطفال والفتيان المراهقين يتأثرون كثيرا بالمادة الاعلامية التي يعرضها عليهم التلفزيون ، مما جعل بعض الباحثين يبدون خوفهم من تأثير بعض برامج التلفزيون على الاطفال ، تأثيرا سلبيا بما من شأنه إلغاء بعض القيم الاجتماعية المرغوبة ، معللين ذلك بأن بعض برامج التلفزيون الدرامية تبالغ في ابراز بعض العيوب الاجتماعية ، كالثقة بالنفس الزائدة عن الحد ، وابراز الخشونة في المعاملة ، وتصوير ذلك وكأنه من مستلزمات النجاح في الحياة ، وفي الوقت ذاته التسامح والطيبة وكأنهما صفات غير مرغوبة اجتماعيا .

وقد عاب بعض التربويين على وسائل الاعلام وخاصة التلفزيون المبالغة في تصوير الصعوبات التي يجابهها المرء في حياته ، لان ذلك من شأنه ان يخلق اليأس لدى الاطفال لقلة خبرتهم في الحياة ، كما وجه بعض التربويين نقدا لاذعا للتلفزيون حين يصور العنف كشيء ضروري للحياة ، وحين يجعل الناس الطيبين يضطرون اللجوء الى العنف للوصول الى مآربهم ، او حين يصور الفضيلة بانها لاتؤدي الى السعادة الا نادرا . لذلك اكد معظم المربين الغيورين على الاطفال ، والحريصين على تكوينهم تكوينا صحيحا ، وتربيتهم تربية سليمة على ضرورة مراعاة الدقةفي اعداد المادة الاعلامية التلفزيونية بحيث تؤدي الى تقديم قيم جديدة مرغوب فيها ، لاكساب الاطفال والناس عموما اتجاهات جديدة مرغوب فيها ، او تعديل اتجاهات قديمة غير مرغوب فيها .

كما دعا بعض المربين وسائل الاعلام وعلى رأسها التلفزيون الى العمل على تثبيت الاتجاهات التقليدية المرغوب فيها ، كالاتجاه الذي يحترم الفرد مهما كانت وظيفته او العمل الذي يؤديه لخدمة المجتمع ، والاتجاه الذي يحبذ التعاون ومساعدة الضعفاء .. الخ .

ولتثبيت الاتجاهات الايجابية المرغوبة ينبغي ان يبرزها التلفزيون بأساليب شائقة وجذابة اما ضمنيا او تصريحا ، ويكررها تكرارا غير متكلف ، بل يصورها تصويرا طبيعيا كما ينبغي ان تكون في الواقع ، كأن يقدم تمثيلية يدور محور موضوعها حول أهمية مساعدة الضعفاء ، او فضيلة الامانة .. الخ .

كما يكون التثبيت ايضا بأبراز الانحرافات والسلوكات الشاذة التي لايقرها المجتمع ، ولا تتفق مع اصالته وتقاليده وأعرافه ودينه ، لأن اي انحراف عما هو سائد وايجابي ، قد يكون مقبولا عند الشخص المنحرف فيما بينه وبين نفسه ، ولكن

علوي عبدالله طاهر

هذا الانحراف غير مقبول اجتماعيا ، فاذا ماعرض التلفزيون نماذج من بعض الانحرافات او السلوكات الشاذة ، ونشرها على مستوى الجماهير ، ربما يجعل المنحرف يجد نفسه مضطرا لانكار انحرافه فيغير او يعدل من سلوكه ليخفي عن الناس بعض جوانب انحرافه ، التي صارت مكشوفه ومعروفة لدى معظم الناس لأن التلفزيون قد كشفها ولم تعد خافية على احد ، اما اذا بقي المنحرف متمسكا بما هو فيه ، ومصرا على الاستمرار في السير بالاتجاه غير المرغوب فيه اجتماعيا ، فإنه بذلك يعزل نفسه عن الناس ويعتبره المجتمع خارجا عن نظامه العام ، ولا أظن احدا يقبل ان يكون معزولا أو منبوذاً اجتماعياً ،لان الفرد بطبعه كائن اجتماعي لايعيش الا في وسط الجماعة ، ولإ براز الانحرافات او السلوكات الشاذة اعلاميا لابد من حسن معالجة القضايا ، والاّ اعطت نتائج عكسية .

واعتمادا على ماذكرناه علينا ان نقوّم برامج التلفزيون المختلفه التي عرضت او تعرض في القناتين الاولى والثانية ، ونحكم على نجاح او فشل اي منها بمقدار اسهامها في تكوين الاتجاهات الفكرية المرغوبة عند الاطفال او المراهقين وايضا عند الكبار ، فإذا وجدنا المادة المعروضة قد اسهمت بقدر معين في تكوين سلوك ايجابي ، او تعديل اتجاه غير مرغوب فيه ، فيكون حكمنا ـ حينئذ ـ منصفا وموضوعيا اذا قلنا ان هذا البرنامج او هذه المادة قد حققت قدرا من النجاح يقاس بمقدار إسهامها في تغيير او تعديل الاتجاه غير المرغوب فيه .

واذا قوّمنا بعض الاعمال التلفزيونية التي قدمت في شهر رمضان الذي مضى عبر القناتين الاولى والثانية ، من منظور اسهامها في تكوين اتجاه فكري مرغوب فيه ، او تعديل سلوك خاطىء ، فإننا نجد أكثرها قد نحت هذا المنحى ، وتمكنت الى حد ما من تكوين اتجاه مرغوب فيه ، غير ان عملا واحدا شذ عن هذه القاعدة ، وهو مسلسل (دحباش في مهب الريح) الذي جذب اليه البسطاء من الناس ، وشد انتباه الاطفال ، واستأثر بأفضل اوقات الارسال التلفزيوني ، وحظي بأكبر قد رمن الاهتمام ، وصرف فيه من المال مالم يصرف لاي مادة محلية مماثلة ، غير ان كل هذا ذهب في مهب الريح ، كما يدل على ذلك عنوان المسلسل .

اقول ذلك لانني ارى ان المسلسل قد اسهم الى حد معين في زعزعة بعض القيم الاجتماعية المرغوبة ، وعمل على تكوين اتجاهات غير مرغوب فيها ، فخلق لدى اطفالنا نزعة نحو الفوضي ورغبة في التخريب وميلا الى العبث، وجعلهم يسلكون سلوكات (دحباشية) في حياتهم محاكاة لبطل المسلسل ، وصرنا نراهم يتحلقون في جماعات تتسلق السيارات ، وتتصرف مع بعضها تصرفات غير لائقة ، وتتفوه بألفاظ غير مهذبة ، سواء حين يتحدثون مع بعضهم او عندما يخاطبون الكبار .

ولم ينحصر التأثير السلبي للمسلسل عند الاطفال فحسب بل امتد ذلك الى الكبار ايضا ممن اعجبوا بشخصية دحباش ، فنظروا اليه كنموذج للانسان الذي يحصل على مايريد عن طريق الدس والوقيعة بين الناس ، واتباع اساليب المكر الخديعة ، ولعل ماشاهدناه من سلوكات شاذة مارسها بعض البسطاء من الناس او خبثائهم حين استغلوا حريق السيلة في الشيخ عثمان لنهب وسرقة بضائع المنكوبين ، جاءت من التأثيرات السلبية لهذا المسلسل ، وربما يرجع شغف الملايين ايضا الى تأثيراته ، لان المسلسل قد اعطى نماذج حية للشغب و الفوضى بأنواعها المختلفه بدعوى ابراز الانحرافات والسلوكات الشاذة التي لايقرها المجتمع ، غير ان اسلوب المعالجة لتلك الظواهر الانحرافية لم يكن موفقا ، مما اعطى انطباعا عند بعض العامة ان الانحراف هو القاعدة ، فثبت لديهم اتجاهات غير مرغوب فيها ، بدلا من تثبيت اتجاهات مرغوب فيها .

واستنادا الى ماقلناه آنفا ، فإن (دحباش) كان فعلا في مهب الريح ، لان كل مابذل فيه من جهد ووقت ومال ذهب في مهب الريح ، كما تنبأ له منتجوه .